The Tragedy at Marsdon Manor

أجاثا كريستي

سلسلة تحقيقات بوارو

ترجمة: رامي الجوهري

مأساة في ضيعة مارسدون

بالكلمات
ساحر الكتب

مقدمة

(أجاثا ماري كلاريسا كريستي) والمعروفة بـ(أجاثا كريستي) هي إحدى أشهر كاتبات الجريمة والغموض على مر التاريخ، ولدت في الخامس عشر من سبتمبر لعام 1890م في مدينة توركواي بالمملكة المتحدة وتوفيت في الثاني عشر من يناير لعام 1976م في مدينة وينتربروك بالمملكة المتحدة، بدأت العمل على روايتها الأولي بعنوان "قضية ستايلز الغامضة" في عام 1916م حيث استوحت شخصيتها الرئيسية والأشهر -المحقق البلجيكي (هيركيول بوار)- إبان فترة عملها كممرضة للجنود واللاجئين البلجيكيين في مدينتها توركواي أثناء الحرب العالمية الأولى ونشرتها في عام 1920م مع دار The Bodley head ثم توالت رواياتها حتى صدر لها ستة وستون رواية وأربعة عشر مجموعة قصصية.

أصدرت سلسلة القصص القصيرة لمغامرات المحقق (هيركيول بوارو) في الحادي والعشرين من شهر مارس في عام 1923م ونشرت لأول مرة في مجلة The Sketch البريطانية ثم تم تجميعها ونشرها مع دار The Bodley head في شهر مارس من عام 1924م.

تم تحويل القصة إلى حلقة تليفزيونية في مسلسل (بوارو) وكانت الحلقة هي السادسة في ترتيب حلقات الموسم الثالث وعرضت في الثالث من شهر فبراير لعام 1991م.

قضيت بضعة أيام خارج المدينة منشغلًا في تدبير بعض الأمور الخاصة، وحين عودتي وجدت (بوارو) يشرع في حزم حقيبة السفر الصغيرة الخاصة به، وقال ما أن رآني:

«في الوقت الملائم كعهدك دائمًا يا (هاستنجز)، خشيت ألا تعود في الوقت المناسب لتصحبني».

«إذن فقد تم استدعاؤك في قضية أخرى، أليس كذلك؟».

تساءلت فأومأ مجيبًا:

«بلي، على الرغم من أنني ملزم بالاعتراف، فإن القضية في ظاهر الأمر لا تبدو واعدة أبدًا، لكن شركة نورثيرن يونيون للتأمين طلبت مني التحقيق في ملابسات وفاة السيد (مالترافرز) الذي قام بالتأمين على حياته لديهم منذ بضعة أسابيع بمبلغ ضخم يقدَّر بخمسين ألف جنيهًا».

قلت وقد بدأ الأمر يثير اهتمامي:

«حسنًا، وماذا بعد؟».

أجاب (بوارو) شارحًا:

«بالطبع كان هناك ذلك الشرط المتعلق بالانتحار في

وثيقة التأمين، ففي حالة إقدام المؤمَّن عليه على الانتحار في غضون عام من تاريخ الوثيقة، فسوف تضيع أقساط التأمين التي سُددت على ورثته، ولقد تم فحص السيد (مالترافرز) على النحو الواجب من قبل طبيب الشركة نفسه، وعلى الرغم من أنه كان رجلًا تجاوز ريعان الشباب بقليل، إلا أنه كان يتمتع بصحة جيدة تمامًا. لكن، في يوم الأربعاء الماضي، أي أول أمس، وجدت جثة السيد (مالترافرز) ملقاة على أرضية منزله في ضيعة مارسدون بمقاطعة إسكس، وتم تحديد سبب الوفاة على أنه نزيف داخلي، إلى هنا والأمر قد يبدو طبيعيًا تمامًا ولا يوجد ما يريب أو يثير الشك، لكن الشائعات كانت تحوم في الأجواء مؤخرًا حول الوضع المالي للسيد (مالترافرز) وقد أكدت شركة نورثيرن يونيون للتأمين بما لا يدع مجالًا للشك أن ذلك الرجل المحترم كان على وشك الإفلاس فعلًا، وهذا قد يقلب الأمور رأسًا على عَقِب، إن السيد (مالترافرز) لديه زوجة جميلة صغيرة السن، والشركة هنا بدأت تشك أنه جمع كل ما استطاعت يداه أن تطاله من أموال من أجل دفع أقساط وثيقة التأمين على الحياة والتي ستستفيد منها زوجته، ثم بعدها أقدم على الانتحار، وهذا أمر شائع الحدوث كما تعلم. على كل حال فقد طلب

مني صديقي (ألفريد رايت) مدير شركة نورثيرن يونيون للتأمين أن أحقق في ملابسات القضية، ولكن كما أخبرته سلفًا أنني لا أنتظر أن أحقق فيها نجاحًا كبيرًا، وإذا ما اتضح أن سبب الوفاة هو قصور قلبي فعلًا فلن أكون متفائلًا كثيرًا، لقد اعتدنا أن تشخيص الوفاة بالقصور القلبي دائمًا ما ينم عن عدم قدرة الطبيب العام الذي فحص الجثة على معرفة السبب الحقيقي للوفاة، لكن على صعيد آخر فالنزيف الداخلي قد يبدو سببًا معقولًا ومنطقيًا للوفاة، لكن على الرغم من ذلك، لا يزال بإمكاننا القيام ببعض التحقيقات الضرورية حول الموضوع».

ثم أنهى ما في يده وأكمل:

«أمامك خمس دقائق يا عزيزي (هاستنجز) لتحزم حقيبة سفرك ثم نستقل سيارة الأجرة إلى شارع ليفربول».

بعد ما يقارب ساعة من الزمن، كنا نترجل من قطار الشرق العظيم في محطة مارسدون الصغيرة، وبعد الإستعلام في المحطة علمنا أن ضيعة مارسدون على بُعد ميل واحد من موقعنا، قرر (بوارو) أن نذهب سيرًا على الأقدام، وهكذا وجدنا أنفسنا نسير إلى هناك عبر الطريق الرئيسي.

تساءلت بفضول غلبني:

«ما هي خطتنا بالضبط؟».

أجاب على الفور:

«أولًا سوف أذهب لمحادثة الطبيب، لقد تأكدت من وجود طبيب واحد فقط في مارسدون وهو الدكتور (رالف برنارد).. آه، ها نحن أمام منزله».

كان المنزل المقصود أشبة بكوخ ضخم، ينتصب إلى الخلف قليلًا من حافة الطريق الرئيسي، وعلى الباب وجدنا اللوحة النحاسية تحمل اسم الطبيب، هكذا عبرنا البوَّابة ثم قرعنا الجرس.

كان قرار زيارتنا له في هذا التوقيت موفّقًا، كان وقت عمل الطبيب حيث يتولى متابعة مرضاه في زياراتهم اليومية، لكن لم يكن هناك في تلك اللحظة مرضى في انتظاره. كان الطبيب (برنارد) رجلًا متقدمًا في العمر، ذو كتفين منحنيين وأسلوب لطيف ودود.

عرَّف (بوارو) عن نفسه وشرح السبب من زيارتنا مضيفًا أن شركات التأمين بموجب القانون ملزمة بأن تقوم بهذا النوع من التحقيقات في مثل هذه القضايا.

قال الطبيب (برنارد) بنبرات غامضة:

«بالتأكيد، بالتأكيد، أفترض أنه بصفته رجلًا ثريًا فقد قام بالتأمين على حياته مقابل مبلغ ضخم، أليس كذلك؟».

تساءل (بوارو) على الفور:

«هل تعتقد أنه رجل ثري أيها الطبيب؟».

نظر لنا الطبيب وقد ظهرت مخايل الدهشة على وجهه وهو يقول:

«ألم يكن كذلك! لقد كان يمتلك سيارتان، كما أن ضيعة مارسدون التي يمتلكها جميلة وكبيرة وإن كنت أظن أنه اشتراها بثمن زهيد في بادئ الأمر».

قال (بوارو) وهو يتفحص تعابير وجه الطبيب بدقة:

«أعتقد أنه مرَّ ببعض العثرات المالية مؤخرًا!».

هز الأخير رأسه في حزن وقال:

«هل هذا صحيح؟ حسنًا، يبدو أنه من حُسن حظ زوجته وجود وثيقة التأمين على الحياة، إنها مخلوقة صغيرة ساحرة وجميلة حقًا، لكنها الآن متأثرة بشكل رهيب بهذه الكارثة المحزنة، لقد أصبحت كتلة من الأعصاب المحترقة. يا للمسكينة! لقد حاولت التخفيف عنها قدر استطاعتي،

لكن صدمتها كانت قاسية ولا تحتمل بالفعل».

«هل كنت تتولى متابعة حالة السيد (مالترافرز) الصحية مؤخرًا؟».

تساءل (بوارو) فأجاب:

«سيدي العزيز، أنا لم أعالج السيد (مالترافرز) مطلقًا».

«ماذا؟!».

كانت معالم الدهشة طاغية على وجه (بوارو) وهو يتساءل وقد شاركته هذا الشعور، فقال الطبيب مفسرًا:

«أعتقد أن السيد (مالترافرز) كان عالمًا أو شيئًا من هذا القبيل».

«لكن أنت مَن تولى فحص الجثة؟».

«بالتأكيد، لقد تم استدعائي من قِبَل أحد العاملين في حديقته».

«وهل كان سبب الوفاة واضحًا بالنسبة لك؟».

«بكل تأكيد، لقد كانت هناك دماء على شفتيه، لكن أغلب النزيف كان داخليًا».

«هل كان لا يزال راقدًا في نفس موضعه عندما قمت بفحصه؟».

«أجل، الجثة كانت في نفس موضعها لم تُمس، لقد كان راقدًا على حدود إحدى الحقول الصغيرة، يبدو لي بشكل مؤكد أنه كان يقوم بالصيد حيث وجدت بندقية صيد ملقاة بجواره، لا بد أن النزيف قد حدث بشكل سريع ومفاجئ، هي قرحة معدية دون شك».

تساءل (بوارو):

«ألا يوجد احتمال أنه تعرض لإطلاق نار؟ ».

رد الطبيب بدهشة مَن شعر بإهانة من السؤال:

«حسبك يا سيدي العزيز، هل كان سيفوتني شيء كهذا؟!».

قال (بوارو) بصوت هادئ:

«أرجو المعذرة يا سيدي، لكن إن لم تكن ذاكرتي تخونني ففي إحدى القضايا السابقة كان تشخيص الطبيب المبدئي هو القصور القلبي، وقد بدا مقتنعًا جدًا بذلك التشخيص في بادئ الأمر، لكنه سرعان ما عاد وبدَّل رأيه حين لفتَ مُفتش الشرطة نظره إلى جرح الرصاصة

الموجود في الرأس».

قال الطبيب (برنارد) بجفاء:

«لن تجد أي جرح ناتج عن رصاص في جسد السيد (مالترافرز) يا سيدي».

ثم أكمل بنفس النبرة الجافة:

«والآن أيها السادة، إن لم يكن هناك شيء آخر... ».

فهمنا بالطبع ما يلمح إليه فنهضنا واتجهنا نحو الباب و(بوارو) يقول:

«حسنًا، أسعد الله صباحك، وشكرًا جزيلًا لك يا دكتور لإجابتك على تساؤلاتنا. بالمناسبة، أنت ترى أنه لا داعي لإجراء تشريح للجثة؟».

أصبحت لهجة الطبيب باردة تمامًا وهو يجيب بفتور:

«مطلقًا، إن سبب الوفاة واضح جدًا وفي مهنتي هذه نرى أنه لا داعي لإضافة المزيد من الضغط والتعاسة على أقارب المتوفى».

ثم استدار وأغلق الباب في وجوهنا بحِدَّة فغادرنا واستكملنا طريقنا باتجاه الضيعة و(بوارو) يتساءل:

«ما رأيك في شخصية الطبيب (برنارد) يا (هاستنجز)؟ ».

قلت حانقًا:

«ليس أكثر من عجوز أحمق».

ابتسم قائلًا:

«بالضبط، حكمك على الشخصيات دائمًا في محله يا صديقي».

نظرت نحوه في عدم ارتياح لكنه بدا جادًا تمامًا ومع ذلك ظهرت لمعة في عينيه وهو يضيف بلهجة ماكرة:

«هذا بالطبع طالما أن السؤال لا يتعلق بامرأة جميلة! ».

نظرت إليه ببرود دون تعليق. وحين وصولنا إلى منزل الضيعة فتحت لنا الباب خادمة في منتصف العمر، ناولها (بوارو) بطاقته الشخصية وخطاب من شركة التأمين موجهًا إلى السيدة (مالترافرز). أدخلتنا الخادمة إلى حجرة صغيرة ثم ذهبت تُعلِم سيدتها بقدومنا، استغرق الأمر قرابة عشر دقائق ثم فُتح الباب وعلى عتبته ظهرت امرأة رشيقة ترتدي ملابس الحداد وقالت بإطراء:

«سيدي (بوارو)؟ ».

نهض (بوارو) على قدميه ثم أسرع نحوها قائلًا:

«سيدتي، لا يمكنني إخبارك قدر أسفي على إزعاجكِ بهذا الشكل، لكنها الضرورة كما تعلمين، العمل لا يرحم».

سمحت له السيدة (مالترافرز) بأخذ يدها إلى المقعد، عيناها كانتا حمراوان من فرط البكاء، لكن ذلك الحزن العابر لم يفلح في إخفاء قدر جمالها غير العادي. كانت في السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين من عمرها ذات بشرة فاتحة وعينان زرقاوان كبيرتان وفم جميل عابس.

تساءلت ما أن جلست قبالتنا:

«هل الأمر يتعلق بوثيقة التأمين الخاصة بزوجي؟ أكان لا بد من إزعاجي بهذا الأمر وبهذه السرعة؟».

رد (بوارو) بسرعة:

«تشجعي يا سيدتي العزيزة، تشجعي. كما ترين فإن زوجكِ الراحل قام بالتأمين على حياته بمبلغ ضخم، وفي مثل هذه الحالات يتعين على شركة التأمين أن تُدقق فيما يتعلق ببعض التفاصيل، وقد خولتني الشركة للتصرف في هذا الأمر بالنيابة عنها. يمكنكِ أن تكوني مطمئنة تمامًا

أنني سأفعل كل ما بوسعي لأجعل الأمر غير مزعجٍ بالنسبة لكِ. والآن، هل بإمكانكِ أن تقصِّي عليَّ بإيجاز عن الأحداث الحزينة التي وقعت يوم الأربعاء الماضي؟».

تنهَّدت بحرقة ثم أجابت قائلة:

«كنت أقوم بتغيير ملابسي استعدادًا لشرب الشاي حين أتت الخادمة إليَّ وقد جاء أحد العاملين بالحديقة نحو المنزل مهرولًا، وكان قد وجد... ».

تهدَّج صوتها تأثرًا فضغط (بوارو) على يدها في تعاطف وقال في مواساة:

«حسنًا، لقد فهمت، هوِّني عليكِ! هل رأيتِ زوجكِ في وقتٍ مبكر من ظهيرة ذلك اليوم؟».

«لم أره منذ وقت الغذاء، فقد ذهبت سيرًا على الأقدام إلى القرية لشراء بعض الطوابع، لكن أعتقد أنه كان يتجول في الأرجاء».

«كان يصطاد، أليس كذلك؟».

«بلى، لقد كان معتادًا على اصطحاب بندقية الصيد الصغيرة معه، وأعتقد أنني سمعت صوت طلقة أو اثنتين من بعيد».

«وأين بندقية الصيد الآن؟».

«في البهو على ما أعتقد».

قالتها ونهضت لتغادر الحجرة، ثم عادت بعد برهة وفي يدها السلاح الصغير، سلمته إلى (بوارو) الذي تفحصه بحرص بالغ، ثم ناولها البندقية مجددًا وهو يقول:

«لقد تم إطلاق طلقتين منها بالفعل، والآن يا سيدتي هل يمكنني أن أرى... ».

صمت قليلًا ولم يكمل، فهمت على الفور ما يقصده فأشاحت برأسها وغمغمت قائلة:

«سوف يصحبك أحد الخدم إليها».

ثم استدعت خادمة الإستقبال التي اصطحبت (بوارو) إلى الأعلى بينما بقيت أنا مكاني بصحبة السيدة الجميلة الأسيفة، كان من الصعب عليَّ أن أحدد إن كان من الأفضل أن أتحدث أم أبقى صامتًا. استشعرت الحرج الشديد خاصة مع علامات الحزن والأسى الطاغية على محياها وزاد الصمت من الطين بلَّة، فقلت تعليقًا أو اثنين عن بعض الأمور العامة، فردت عليَّ بذهن شارد حتى عاد (بوارو) إلينا بعد دقائق انقضت وقال:

«أشكركِ للغاية لكرمكِ الشديد يا سيدتي، أعتقد أنني لا يجب أن أزعجكِ أكثر بهذه المسألة. بالمناسبة، هل تعرفين أي شيء عن الوضع المالي لزوجكِ؟».

هزت رأسها نفيًا وقالت:

«لا شيء على الإطلاق، إنني حمقاء للغاية حين يتعلق الأمر بالمال والأعمال».

«حسنًا، إذن فأنتِ لا يمكنكِ أن تعطينا أي سبب عن لماذا قام زوجكِ بالتأمين فجأةً على حياته، إنه لم يفكر في مثل هذا الأمر من قبل على قدر علمي».

«حسنًا، لقد تزوجنا منذ ما يربو عن العام، ولكن لماذا قام بالتأمين على حياته؟ أعتقد أنه كان يشعر أن موته قريب وأنه لن يعيش طويلًا، لقد كان لديه هذا الهاجس القوي عن دنو أجله، وأعتقد أنه أصيب بنزيف من قبل فزاد هاجسه حتى استحوذ عليه، وكان يعرف أن إصابته بنزيف آخر ستكون مميتة بالنسبة إليه بلا شك، لقد حاولت إزالة تلك الهواجس الكئيبة عن رأسه لكن دون جدوى، وبكل أسفٍ وفي ضوء ما حدث، أرى أنه في النهاية كان على صواب».

التمعت الدموع في عينيها وهي تنهي كلامها، ثم ودعتنا بلطفٍ. وبينما كنا نسير على الممشى معًا، وبعد فترة صمت طالت بعض الشيء، قدَّم (بوارو) إحدى تعليقاته المميزة قائلًا:

«حسنًا، لقد انقضى الأمر، سوف نعود إلى لندن يا صديقي فلا يوجد لدينا ما نفعله هنا بعد الآن، على ما يبدو لا فئران في هذا الجحر، ولكن على الرغم من... ».

تساءلت في دهشة:

«على الرغم من ماذا؟!».

أجاب (بوارو) وهو يضيِّق عينيه متفكرًا:

«مجرد تناقض بسيط، هذا كل شيء. هل لاحظته؟ ألم تلاحظه؟ مع ذلك فالحياة مليئة بالمتناقضات، وبالتأكيد هذا الرجل لم يسعَ لقتل نفسه، فلا يوجد سم يجعل الدماء تتناثر من فمه بهذا الشكل. كلا، كلا، لا بد أن أواجه الحقيقة وأقنع نفسي أن كل الأمور هنا على ما يرام».

ثم انتبه إلى شيء ما فتساءل:

«ولكن، مَن هذا الرجل؟».

كان هناك شاب طويل القامة نحيل القوام، يسير على الممشى ويتقدم نحونا، ثم مرَّ بنا دون أن يترك أي إشارة، لكنني لاحظت أنه لم يكن يبدو في حالة سيئة، كان له وجه نحيل بلون برونزي داكن بعد أن لفحته أشعة الشمس كما لو كان يعيش في منطقة استوائية، كان بجوارنا بستاني يكنس أوراق الأشجار التي تساقطت على الأرض وقد توقف عن عمله للحظات، فأسرع إليه (بوارو) قائلًا:

«أخبرني من فضلك، مَن هذا السيد؟ هل تعرفه؟».

رغم دهشة البستاني من السؤال وطريقة إلقائه إلا أنه أجاب سريعًا:

«لا أذكر اسمه يا سيدي على الرغم من أنني سمعته من قبل، لقد أمضى ليلةً معنا هنا الأسبوع الماضي، أجل يوم الثلاثاء».

صاح (بوارو) فجأة:

«أسرع الخطى يا عزيزي، لنلحق به بسرعة».

أسرعنا الخطى خلف الرجل الذي انحرف في سيره وحاد عن طريقه حين لمح تلك المرأة المرتدية الرداء الأسود والواقفة في الشرفة على الجهة الجانبية من المنزل، انحرف

هو ونحن تبعنا خطاه حتى وجدناه يقترب منها، وأصبحنا عن عمد شهودًا على اجتماعهما.

كادت السيدة (مالترافرز) تترنح حين شاهدته من حيث تقف، غارت منها الدماء وشحب وجهها بشكلٍ ملحوظ ثم شهقت وقالت بأنفاس مبهورة:

«أنتَ، لقد ظننت أنكَ في البحر في طريقك إلى شرق أفريقيا!».

هز رأسه نفيًا:

«لقد وصلتني بعض الأخبار من المحامين الخاصين بي جعلتني أتأخر».

ثم استطرد الشاب مفسرًا:

«لقد مات عمي العجوز في اسكتلندا بشكل مفاجئ وترك لي بعض المال، ونظرًا لتلك الظروف فقد ارتأيت أنه من الأفضل لي أن ألغي سفري، ثم طالعت تلك الأخبار المحزنة في الصحيفة وقررت أن آتي لأرى إن كان هناك أي شيء بإمكاني فعله للمساعدة، وعلى الأرجح ستحتاجين لشخص يكون بجانبكِ ويعتني بأمورِكِ».

في تلك اللحظة لاحظ الاثنان تواجدنا فخطا (بوارو)

نحوهما مسرعًا وقدّم الكثير من الاعتذارات معللًا وجودنا بأنه نسي عصاه في البهو، فقامت السيدة بتردد شديد وعلى مضض كما بدا لي بتعريفنا بعضنا ببعض قائلة:

«سيد (بوارو)، أقدم لك كابتن (بلاك) ».

حدَّجه (بوارو) بنظرة خاصة كعادته وكأنما يفحصه ويسبر أغواره، ثم تلا ذلك محادثة ودية استمرت بضع دقائق، علم (بوارو) من خلالها أن الكابتن (بلاك) يقيم في فندق "أنكور إن" وبعد بحث مصطنع عن عصاه المفقودة والتي لم يجدها –لا مفاجأة في هذا بالطبع– منحهما (بوارو) المزيد من الاعتذارات وانسحبنا مغادرين المكان.

عدنا بعد ذلك إلى القرية بوتيرة رائعة، وبأسرع ما يمكن عرج منها (بوارو) إلى فندق "أنكور إن"، وما أن وصلنا حتى نظر إليّ والتقط نفسًا عميقًا وقال شارحًا:

«ها قد اتخذنا موقعنا حتى عودة صديقنا السيد (بلاك)، هل لاحظت أنني أكدت عن عمد على نقطة عودتنا إلى لندن على متن أول قطار؟ محتمل أنكَ ظننت أنني أعني ذلك. لكن لا، هذا غير صحيح. ثم هل لاحظت وجه السيدة (مالترافرز) جيدًا حين كشفت تواجد السيد (بلاك) في المكان؟ من الواضح أنها تفاجأت بوجوده، أما هو، هو

كان يبدو طبيعيًا ومخلصًا جدًا، ألا تظن ذلك؟ كما أنه كان متواجدًا هنا في ليلة الثلاثاء، اليوم الذي سبق وفاة السيد (مالترافرز). يجب علينا التحقيق فيما كان يفعله السيد (بلاك) في تلك الليلة يا (هاستنجز) ».

بعد مضي نحو نصف ساعة، وصل هدفنا المنشود إلى الفندق، على الفور ذهب إليه (بوارو) واصطحبه إلى الغرفة الصغيرة التي أعددناها لهذا الغرض، ثم قال بعد أن اتخذنا مجلسنا:

«لقد كنت أخبر السيد (بلاك) عن المهمة التي حملتنا على القدوم إلى هنا، بالطبع يمكنك أن تتفهم عزيزي الكابتن أنني أريد أن أعرف عن الحالة الذهنية التي كان عليها السيد (مالترافرز) قبيل وفاته، وفي نفس الوقت لا أتمنى أن أزعج السيدة (مالترافرز) عن طريق سؤالها أسئلة مؤلمة تثير أوجاعها وتزيد من حزنها. والآن، وبما أنك كنت هنا قبيل الوفاة مباشرة، يمكنك أن تمدنا بمعلومات ذات قيمة تكون عونًا لنا».

رد الكابتن (بلاك):

«سوف أفعل كل ما بوسعي لمساعدتكم، لكن أخشى أنني لم ألحَظ أي شيء غير اعتيادي. كما ترى، فعلى الرغم

من أن عائلة (مالترافرز) أصدقاء قدامى لعائلتي وتربطنا بهم صلات وطيدة، إلا أنني لم أعرف السيد (مالترافرز) بشكل شخصي».

بدا أن (بوارو) لم يهتم كثيرًا بما قاله وتساءل على الفور:

«متى وصلت بالضبط؟».

«ظهر الثلاثاء، ولقد ذهبت مبكرًا إلى المدينة في صباح الأربعاء لأن سفينتي كانت ستبحر من ميناء تيلبوري حوالي الساعة الثانية عشرة، لكن تلقيت بعض الأخبار التي دفعتني إلى تبديل خططي، وأعتقد أنكما سمعتما بها أثناء تفسيري الأمر للسيدة (مالترافرز) ».

«لقد كنتَ عائدًا إلى شرق أفريقيا إن كنت فهمت الأمر جيدًا، أليس كذلك؟».

«بلى، لقد كنت هناك منذ فترة الحرب العظمى، وهي بلد جميل بلا شك».

«بكل تأكيد. والآن هل يمكنك أن تخبرني عن فحوى حديثكما وما دار على مائدة العشاء في ليلة الثلاثاء؟».

«آه، حقًا لا أدري، فقط الأحاديث المعتادة. لقد سألني السيد (مالترافرز) عن أحوال عائلتي ثم تناقشنا حول

مسألة التعويضات الألمانية المثارة حاليًا بعد انقضاء الحرب، بعدها سألني السيد (مالترافرز) الكثير من الأسئلة عن شرق أفريقيا وأحوال البلاد هناك وطباع السكان المحليين، فقصصت عليهما قصةً أو اثنتين، وهذا كل ما في الأمر على ما أعتقد».

هز (بوارو) رأسه قائلًا:

«أشكرك يا كابتن (بلاك)، شكرًا جزيلًا».

صمت بعدها لوهلة ثم عاد يقول بلطف:

«اسمح لي يا سيدي، أود القيام بتجربة بسيطة معك، لقد أخبرتنا الآن عن ما يعرفه عقلك الواعي لكني أريد أن أسبر ما بداخلك واستكشف ما يخفيه عقلك الباطن».

قال الكابتن (بلاك) في تحفز:

«تقصد تحليل نفسي؟».

قال (بوارو) مطمئنًا إياه:

«كلا بالطبع، كما ترى هي مجرد لعبة صغيرة لا أكثر ولا أقل، دعني أشرحها لك، سوف تدور اللعبة بهذا الشكل، أنا سوف أعطيك كلمة فتجيب أنت بكلمة أخرى وهكذا تواليًا،

أي كلمة أيًّا كانت، المهم أن تكون أول كلمة تخطر على بالك، هل بإمكاننا أن نبدأ؟».

قال (بلاك) ببطء وإن بدا عليه عدم الارتياح:

«حسنًا».

قال (بوارو):

«من فضلك، دوِّن تلك الكلمات يا (هاستنجز) ».

أمسكت المفكرة الصغيرة والقلم وانتظرت على أهبة الاستعداد بينما أخرج من جيبه ساعة الجيب الكبيرة الخاصة به ووضعها بحرص على الطاولة بجواره ثم قال: **«سوف نبدأ الآن: نهار».**

مرَّت لحظة من الصمت بدا على وجهه فيها التردد ثم رد (بلاك) قائلًا:

«ليل».

استمر (بوارو) في إلقاء الكلمات فبدأت إجاباته تأتي سريعة:

«اسم».

«مكان».

«برنارد».

«شو».

«الثلاثاء».

«عشاء».

«رحلة».

«سفينة».

«بلد».

«أوغندا».

«قصة».

«أسود».

«بندقية صيد».

«مزرعة».

«طلقة».

«انتحار».

«فيل».

«أنياب».

«أموال».

«محامون».

انتهى (بوارو) فقال:

«أشكرك كابتن (بلاك)، هل يمكنك أن تمنحني بضع دقائق من وقتك، بعد حوالي نصف ساعة من الآن؟».

قال الكابتن الشاب وهو ينظر نحو (بوارو) بدهشة:

«بالتأكيد».

ثم مسح على جبينه وهو ينهض فانتظر (بوارو) حتى أغلق الباب خلفه ثم نظر إليَّ مبتسمًا:

«والآن يا (هاستنجز)، لقد رأيت كل شيء، أليس كذلك؟».

قلت بدهشة:

«لست أدري ماذا تعني».

«ألا تخبرك قائمة الكلمات هذه بأي شيء؟».

فحصتها بعيني جيدًا لكنني أُجبرت في النهاية على هز

رأسي دلالة على عدم الفهم فتابع (بوارو):

«سأساعدك، في البداية لقد أجاب (بلاك) في حدود الوقت الطبيعي ودون أي لحظات صمت لذا يمكننا الافتراض بأنه ليس لديه إحساس يؤرقه بالذنب ليقوم بمحاولة الخداع أو الغش. إن ارتباط كلمة "نهار" مع "ليل" و "مكان" مع "اسم" كلها ارتباطات طبيعية لا ريب عليها، لكني بدأت العمل الحقيقي مع كلمة "برنارد" والذي قد يرتبط في ذهنه على الفور باسم الطبيب المحلي والذي ربما يكون قد قابله من قبل، لكن من الواضح أن هذا لم يحدث. وبعد محادثتنا الأخيرة ربط بين كلمتي "عشاء" و "ثلاثاء" لكن كلمتي "رحلة" و "بلد" أجاب عنهما بكلمتي "سفينة" و"أوغندا" والذي أظهر بوضوح اهتمامه الشديد برحلته البحرية إلى الخارج أكثر بكثير من الرحلة التي قادته إلى هنا أما كلمة "قصة" استدعت في ذهنه قصص "الأسود" التي كان يقصها لهما على العشاء، لكن عندما استمريت وذكرت كلمة "بندقية صيد" أجابني بكلمة غير متوقعة تمامًا وهي كلمة "مزرعة" وعندما قلت كلمة "طلقة" أجاب على الفور بـ "انتحار" في ترابط يبدو من الوهلة الأولى طبيعي، هناك رجل يعرفه أقدم على نفس الفعل وقام بالانتحار بواسطة بندقية صيد في مزرعة في

مكانٍ ما، تذكَّر أيضًا أن عقله ما يزال يدور حول القصص التي قصها على العشاء وأعتقد أنك ستتفق معي أنني أقترب من الحقيقة إذا ما استدعيت كابتن (بلاك) مجددًا وطلبت منه أن يكرر على مسامعنا قصة الانتحار التي حكاها لهما على مائدة العشاء في مساء الثلاثاء».

حين عودته مجددًا، كان (بلاك) واضحًا جدًا بشأن هذه المسألة فقال:

«بالفعل، لقد حكيت لهما تلك القصة التي حضرت إلى ذهني وقتها، قصة رجل قام بإطلاق النار على نفسه في إحدى المزارع هناك، لقد فعلها بأن أطلق النار على نفسه بواسطة بندقية صيد فاخترقت الطلقة سقف حلقه وهتكته ثم استقرت في مخه، الأطباء كانوا في حيرة من أمرهم وقتها حيث لم يكن هناك شيء واضح باستثناء بعض الدماء على شفتيه ولكن ماذا... ».

توقف فجأة وكأن الكلمات احتبست في حلقه فأخذ (بوارو) طرف الحديث وقال:

«ما علاقة هذا الأمر بالسيد (مالترافرز)؟ يبدو أنك لا تعلم أنه وجد ميتًا وهناك بندقية صيد ملقاه بجواره».

قال (بلاك) ذاهلًا:

«أتظن أن قصتي قد أوحت له بـ..رباه!، لكن هذا شيء بشع!».

«لا تقسو على نفسك فهذا الأمر كان سيحدث بطريقة أو بأخرى. حسنًا، لا بد لي من الاتصال هاتفيًا بلندن».

أجرى (بوارو) عبر الهاتف مكالمة استغرقت وقتًا طويلًا ثم عاد بعدها مستغرقًا في تفكير عميق. بعد الظهيرة خرج (بوارو) وحده ولم يعد حتى الساعة السابعة مساءً، وأعلن أنه لن يستطيع تأجيل الأمر أكثر من ذلك وأنه مضطر أن يحمل الأخبار السيئة للأرملة الشابة.

انتابني إحساس غامر بالتعاطف معها، كون أنها أصبحت مفلسة، كما أن معرفتها أن زوجها قتل نفسه من أجل تأمين مستقبلها هو بلا شك حمل ثقيل عن أن تتحمله أي امرأة، خالجني شعور خفي بالأمل أن كابتن (بلاك) الشاب قد يثبت أنه قادر على مواساتها بعد مرور حزنها الأول، حيث بدا مما رأيت ومن خلال لقائي به ومن نظراته لها أنه أعجب بها بشدة.

كان لقاؤنا مع السيدة كما توقعت مؤلمًا، لقد رفضت بشدة

أن تصدق الحقائق التي ساقها لها (بوارو)، وحينما اقتنعت أخيرًا انفجرت في بكاءٍ مرير، حيث ثبت من الفحص الذي تم إجراؤه على الجثة أن شكوكنا كانت كلها في محلها، كان (بوارو) يشعر بالأسف الشديد تجاه السيدة المسكينة، لكن ورغم كل شيء، تم تعيينه من قِبَل شركة التأمين للتحقيق في غموض الأمر، ماذا كان بيده أن يفعل؟ وبينما كان يستعد للمغادرة قال للسيدة (مالترافرز) بلطف:

«سيدتي، اسمحي لي، أنتِ دونًا عن كل الناس، ينبغي أن تعلمي أنه لا يوجد أموات».

اتسعت عيناها وقالت متعجبة:

«ماذا تعني؟».

«هل شاركتِ من قبل في جلسات تحضير أرواح؟ أنتِ تتمتعين بألق وشفافية روحية، هل كنتِ تدركين ذلك؟».

«لقد قيل لي هذا الكلام من قبل، لكن لم أكن أظن أبدًا أنك تؤمن بمثل تلك الأمور الروحانية!».

«سيدتي، لأصدقكِ القول، رأيت بعض الأمور الغريبة، هل تعلمين أنهم في القرية يقولون أن منزلكِ هذا مسكون بالأرواح؟».

أومأت برأسها إيجابًا في نفس اللحظة التي أعلنت فيها خادمة الاستقبال أن العشاء قد تم تجهيزه فقالت:

«هلا بقيتما معنا وتناولتما بعض الطعام؟».

قبلنا دعوتها شاكرين وقد شعرت أن وجودنا معها سوف يساعد ولو بقدر ضئيل في إخراجها بعض الشيء عن أحزانها. لم نكد ننتهي من تناول الحساء حتى سمعنا صرخةً مدويةً تنطلق من خارج الحجرة مع أصوات تحطم آنيةٍ خزفية، قفزنا من أماكننا وهرعنا إلى الخارج تسبقنا مخاوفنا، فوجدنا الخادمة تضع يدها على قلبها وتقول بفزع:

«لقد كان رجلًا.. يقف أمامي مباشرةً عبر الممر».

هرع (بوارو) إلى الخارج ثم عاد مسرعًا وقال:

«لا يوجد أحد هناك».

قالت الخادمة بوهن:

«أليس هناك أحد حقًا؟ رباه! لقد أفزعني للغاية!».

تساءل (بوارو):

«لكن لماذا؟!».

خفضت الخادمة صوتها حتى أصبح همسًا وقالت:

«أظن.. أظن أنه السيد، لقد بدا لي أنه هو».

شاهدت السيدة (مالترافرز) تظهر عليها علامات الرعب الشديد، وذهب عقلي إلى تلك الخرافات القديمة عن أن أرواح المنتحرين لا تعرف الراحة، لا بد أنها فكرت في ذلك أيضًا لأنها بعد دقيقة أمسكت بذراع (بوارو) وأطلقت صرخة رعب عالية.

«ألم تسمع هذا؟ تلك الطرقات الثلاث على النافذة؟ لقد كان زوجي معتادًا على فعل ذلك حين كان يمشي حول المنزل».

قالت بفزع، فصحت قائلًا:

«إنه اللبلاب، مجرد نبات اللبلاب المواجه للنافذة».

لكن شعورًا بالرعب تملكنا جميعًا، والخادمة بدت لي مفزوعة تمامًا. بعد أن انتهينا من تناول الطعام، طلبت السيدة (مالترافرز) من (بوارو) ألا ينصرف على الفور، كانت مرتعبة بشكل واضح من فكرة البقاء بمفردها.

جلسنا سويًا في الغرفة الصباحية الصغيرة، كانت الرياح تثور وتزأر في أرجاء المنزل بطريقة مخيفة وقد انفتح باب الغرفة من تلقاء نفسه مرتين ببطء، وفي كل مرة كانت

السيدة تتشبث بي مطلقة شهقة فزع.

في النهاية صاح (بوارو) بغضب:

«ما خطب هذا الباب؟ أهو مسحور؟!».

قالها ونهض من مكانه وأغلق الباب مرةً أخرى، ثم أدار المفتاح في القفل وهو يكمل:

«عليَّ أن أغلقه إذن».

صاحت السيدة (مالترافرز) في هلع:

«لا تفعل ذلك.. لربما ينفتح الآن».

لم تمض لحظة على جملتها حتى حدث المستحيل، الباب المغلق انفتح مرة أخرى ببطء. لم أكن أرى الممر جيدًا من مكان مجلسي، لكن هي و(بوارو) كانا مواجهين له، أطلقت صرخة فزع طويلة وهي تستدير نحوه وتصيح قائلة:

«لقد رأيته أليس كذلك؟ هناك في الممر».

كان يحدِّق فيها بوجه مرتبك ثم هز رأسه بالنفي فصاحت مجددًا:

«لقد رأيته، زوجي، لا بد أنك رأيته كذلك؟».

قال بصرامة:

«سيدتي، أنا لم أر شيئًا، لا بد وأنكِ لستِ على ما يرام..

».

بدت على شفا الانهيار وهي تقول:

«إنني بخير، أنا.. آه، يا إلهي!».

فجأة وبدون أي إنذار مسبق ارتعشت الأنوار ثم انطفأت. عبر الظلام أتت ثلاث دقات عالية، وكان بإمكاني سماع نحيب السيدة (مالترافرز)..

عندها رأيته..

كان الرجل الذي رأيته من قبل على فراشه في غرفته بالطابق العلوي واقفًا أمامنا والضوء الخافت يتلاعب على وجهه. كانت هناك دماء على شفتيه وكان يمد يده اليمنى ويشير بها نحونا. فجأة، بدا وكأن شعاعًا من الضوء الساطع ينبعث من هذه اليد ويتجاوز (بوارو) ويتجاوزني ثم يتسلَّط على السيدة (مالترافرز).

رأيت وجهها الأبيض الشاحب المرتعب، ورأيت شيئًا آخر!

صحت:

«يا إلهي، (بوارو) أنظر إلى يدها، يدها اليمنى.. إنها مصطبغة باللون الأحمر!».

سقطت عيناها على يدها المدممة ثم انهارت متكومة على الأرض وهي تصرخ في حالة هيستيرية:

«دماء، نعم إنها دماء.. لقد قتلته.. أنا فعلتها.. لقد كان يريني بندقية الصيد وأنا وضعت يدي على الزناد وضغطته. أنقذني منه.. أنقذني.. لقد عاد».

قالتها ثم اختنق صوتها وتحشرج فقال (بوارو) بحزم:

«الأنوار».

عندها أضيئت الأنوار بشكل سحري و(بوارو) يكمل مستطردًا:

« هذا هو الأمر، هل سمعت ما قالته يا (هاستنجز)؟ وأنت يا (إيفريت)؟ بالمناسبة، دعوني أقدم لكما صديقي العزيز، هذا هو السيد (إيفريت)، وهو عضو مرموق في فرقة تمثيل مسرحي، لقد اتصلت به عند الظهيرة، قدرته على التنكر رائعة أليس كذلك؟ يبدو مثل الرجل الميت تمامًا، وأيضًا مع كشَّاف الجيب الصغير والأضواء الفوسفورية اللازمة ترك انطباعًا جيدًا جدًا».

ثم أشار إلى يد السيدة (مالترافرز) وقال موجهًا حديثه لي:

«لو كنت في موضعك يا (هاستنجز) لما لمست يدها اليمنى، فالطلاء الأحمر يترك آثارًا قوية، وعندما انطفأت الأنوار قمت بإمساك يدها كي يتم طلاؤها.. بالمناسبة، لا ينبغي علينا أن نفوِّت موعد قطارنا، إن المفتش (جاب) يقف خارج النافذة.. إنها ليلة سيئة بكل تأكيد، لكنه كان قادرًا على أن يزجي وقته بالنقر على النافذة من حين إلى آخر».

أكمل (بوارو) حديثه بينما نحث الخطى عبر الرياح الزاعقة والأمطار في طريقنا نحو محطة القطار:

«كما ترى، كان هناك تضارب بسيط، كان الطبيب يحب أن يعتقد بأن القتيل عالمًا متدينًا، ومَن بإمكانه إعطائه مثل هذا الانطباع غير السيدة (مالترافرز)؟ لكن بالنسبة لنا قدمت زوجها الراحل على أنه دائم القلق بشكل مرضي بخصوص صحته.. ولماذا أيضًا أجفلت بهذا الشكل حين رأت السيد الشاب (بلاك)؟ وأخيرًا، وعلى الرغم من أنني أعلم أن التقاليد تنص على أن تُظهر المرأة معالم الحداد والحزن الشديد على زوجها الراحل، إلا أنني لم أعتقد

كثيرًا في مثل هذه الأجفان شديدة الاحمرار.. لقد بدت لي تفصيلة مبالغ فيها للغاية! أنت لم تلاحظهم يا (هاستنجز)، أليس كذلك؟ كلا؟ كما أخبرك دومًا، أنت لا ترى أي شيء».

ثم تابع على الفور:

«حسنًا، هكذا كان الأمر، كان أمامي احتمالان، هل أوحت قصة (بلاك) إلى السيد (مالترافرز) للقيام بعملية انتحار فريدة ومبتكرة، أم كانت المستمعة الأخرى، الزوجة التي رأت بالمثل نفس الفرصة العبقرية لارتكاب جريمة قتل؟ لقد تبنَّيت الاحتمال الثاني على الفور لأنه كي يطلق النار على نفسه بتلك الطريقة التي تبينَّاها، كان لزامًا عليه أن يضغط على الزناد مستخدمًا إصبع قدمه، أو هكذا بدا لي الأمر.. والآن، لو أن السيد (مالترافرز) قد وجد بفردة حذاء واحدة لكان لا بد وأن نسمع عن هذا الأمر من شخص ما، فمثل هذه التفاصيل الغريبة يتم ذكرها بالتأكيد ولا تُنسى أبدًا».

ثم التقط نفسًا عميقًا قبل أن يتابع:

«كلا، وكما قلتُ، فقد تبنيت وجهة النظر التي تؤكد أننا أمام جريمة قتل وليس انتحارًا، لكنني أدركت أنه لا يوجد لديَّ أي دليل يدعم نظريتي، ولهذا قمت بابتكار ذلك

العرض الكوميدي الصغير الذي رأيته الليلة».

قلت له:

«لكن حتى الآن لا يمكنني تبين كل معالم الجريمة».

«دعنا نبدأ الأمر من البداية، لدينا هنا امرأة داهية وماكرة وتتمتع بذكاء شديد، هي كانت تعلم عن حالة زوجها المادية الصعبة، وهي أيضًا قد سئمت منذ ذلك الرفيق العجوز الذي تزوجته فقط من أجل أمواله، لذلك لم تطِق صبرًا وعقدت العزم، أغرت زوجها للتأمين على حياته بمبلغ ضخم، ثم سعت بكل الطرق لإكمال مخططها، والصدفة البحتة قدمت لها السبيل، ألا وهي قصة الشاب (بلاك) الغريبة. في ظهيرة اليوم التالي وعندما كان عزيزنا كابتن (بلاك) في طريقه عبر البحار كما كانت تظن وقتها، كانت هي وزوجها يسيران عبر أراضي ضيعتهما ثم قالت له:

«يا لها من قصة غريبة تلك التي سمعناها ليلة أمس! هل يستطيع الرجل أن يطلق النار على نفسه بهذا الشكل؟ هل بإمكانك أن تريني إن كان هذا ممكنًا؟ وعندما بدأ الأحمق المسكين يشرح لها كيفية إتمام ذلك، وحين وضع فوهة البندقية داخل فمه، انحنت هي ووضعت إصبعها على

الزناد وهي تقول ضاحكة:

«والآن يا سيدي، لنرَ ماذا سيحدث إذا ضغطتُ على الزناد».

«وعندها، وعندها يا (هاستنجز)، ضغطت عليه بالفعل».

تمت ..

عن المترجم.

رامي الجوهري.

كاتب وروائي مصري من مواليد الإسكندرية، تخرج في كلية العلوم ويعمل كيميائيًا في مجال البتروكيماويات.

بدأ النشر في عام 2018م وصدرت له حتى الآن ثلاث روايات، وهي على الترتيب:

- سفَّاح المحطة.
- معزوفة القدر.
- تابوت العهد.